أثر أهل البيت (عليهم السلام) في تأسيس المصطلح الديني

(علوم القرآن انموذجاً)

م.د ضرغام كريم كاظم الموسوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

فدراسة القرآن الكريم وعلومه والاشتغال به أشرف المهام، التي تفنى الأعمار في سبيلها ، وتكفى صاحبها عن هموم ما عداها، قال رسول الله ﷺ عن الله عز وجل: ((من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين))[١] ، وقال ﷺ : ((لو كان القرآن في إهاب لما مسه النار))[٢] أي من علمه الله القرآن لم تحرقه النار يوم القيامة إن أُلقي فيها بالذنوب، كذلك قيل في معنى الخبر.

وبعد :

فمن الاشكاليات التي اثيرت حول تأسيس علوم القرآن ومصطلحاته – بما هو علم له معالمه ومعناه المتداول حاليا– انه لم يظهر الى الساحة كعلم مستقل يُعنى بموضوعات القرآن الا في القرن الخامس الهجري، وأول كتاب ألف فيه هو البرهان في علوم القرآن لعلي بن ابراهيم الحوفي (ت٤٣٠هـ) ، ويقع في ثلاثين مجلدا ، يقول الزرقاني(ت١٣٦٧هـ) : (أن علوم القرآن كفن مدون استهلت صارخة على يد الحوفي في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس ثم تربت في حجر ابن الجوزي والسخاوي وأبي شامة في القرنين السادس والسابع. ثم ترعرعت في القرن الثامن برعاية الزركشي. ثم بلغت أشدها واستوت في القرن التاسع بعناية الكافيجي وجلال الدين البلقيني. ثم اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر بهمة فارس ذلك الميدان صاحب كتابي التحبير والإتقان في علوم القرآن للسيوطي)[٣]،

وهذا يعني انه لم يرَ النور الا عند المذاهب الاسلامية الاخرى ، وان الامامية لم يكن لهم الاثر في هذا الفن ، ولكن الواقع خلاف ذلك ، فاذا رجعنا الى المصادر وامهات الكتب نجد ان البذور الاولى لهذا العلم كانت على يد الرسول الاعظم ﷺ وأهل البيت (عليهم السلام) وهم المؤسسون الاوائل لهذا العلم ، وذلك متمثلا بكلام وخطب الرسول الكريم ﷺ، وأمير المؤمنين علي عليه السلام إذ كان يذكر مصطلحات هذا العلم ، ويؤسس لها أما عن طريق التعليم المباشر لأصحابه أو غير المباشر ، كما نجد هذا التأسيس واضحا في خطبة فاطمة الزهراء (عليها السلام) المشهورة ، وباقي الائمة (عليهم السلام). وهذا ما يحاول الباحث اظهاره من خلال كلامهم (عليهم السلام) . فالبحث يدور حول تأسيس مصطلح علوم القرآن عند أهل البيت (عليهم السلام)، فاقتضت منهجية البحث ان يكون بمباحث اربعة وخاتمة وسرد لاهم المصادر، تناول المبحث الاول التعريف باهل البيت ، ومرجهيتهم ، وتناول المبحث الثاني مفهوم المصطلح الديني واقسامه و أهميته ، وكان نصيب المبحث الثالث مفهوم علوم القرآن وما يتعلق به ، وظهور هذا العلم وتطوره ، وكان المبحث الرابع ميدنا تطبيقيا لذكر نماذج من مصطلحات علوم القرآن ، والخاتمة ببيان اهم النتائج التي توصل اليها البحث .

لقد تكفّلت الرّوايات القطعية المعتبرة التي نُقلت عن رسول الله ﷺ والتي روتها العامّة والخاصة في بيان من هم أهل البيت (عليهم السلام). فلو رجعنا الى مصادر العامة لوجدنا أنها قد حوت عشرات الرّوايات بمختلف الطرق التي وردت في تفسير الآية الشريفة ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ على انّ المقصود بأهل البيت هم: علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام). وعليه فليس المراد بأهل البيت (عليهم السلام) في كلمات النبي ﷺ ، والذين لهم تلك الخصائص والصفات، جميع اقرباء النبي ﷺ، فما أكثر من كان من قرابته ﷺ على الضلال(٤)، ولم يهتد لطريق الحق رغم قرابتهم منه ﷺ. وان كان لفظ اهل البيت مشكك ، وامكانيّة دخول بعض من يقرب للنبي ﷺ سواء أكان في النسب او المصاهرة في هذا المصطلح ، نرجع الى ما يرجح أحد تلك المعاني المتعددة وتعيين ما المقصود باهل البيت. وهنا نذكر بعض الروايات عن العامة التي تبين من هم أهل البيت(عليهم السلام) ، لأَن مفهوم اهل البيت عند الامامية واضح ولا خلاف عليه ، فمن هذه الروايات :

١- عَنْ عائشَةَ، قالَتْ:(خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ غَداةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَجَّلٌ مِنْ شَعْر أَسْوَدَ، فَجاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَليٍّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جاءَ الْحُسينُ فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جاءَتْ فاطِمَةُ فَأَدْخَلَها، ثُمَّ جاءَ عَليٌّ فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قالَ:﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾)(٥).

٢- عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ : (أَنَّ النَّبيَّ ﷺ حَلَّلَ عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَعَليٍّ وَفاطِمَةَ كِساءً ، ثُمَّ قالَ: اللهُمَّ هؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتي وَخاصَّتِي ، اَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهيراً ، فَقالَت أُمُّ سَلَمَةَ : وَأنا مَعَهُمْ يا رُسُولَ اللهِ ؟ قالَ : إِنَّكِ إِلى خَيْر)(٦) .

٣- عَنْ عُمَرَ بْنِ سَلَمَةَ رَبيبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ : (لَمّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ في بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَدَعَا النَّبيُّ ﷺ فاطِمةَ وَ حَسَناً وَحُسيناً وَعَليٌ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُمْ بِكِساء ثُمَّ قالَ: أَللهُمَّ هؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتي فَاَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَ طَهِّرْهُمْ تَطْهيراً " قالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : وَأَنَا مَعَهُمْ يا نَبيَّ اللهِ ؟ قالَ : أَنْتِ عَلى مَكانِكِ وَأَنْتِ إِلى خَير)(٧) .

٤- منها : جواب زيد بن أرقم حين سئل : من هم أهل البيت ؟ هل المراد بهم نساء النبي ﷺ ؟ فقال : لا وَأَيْمُ الله ! إِنَّ الْمَرْأَةَ تَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ الْعَصْرَ مِنَ الدَّهْرِ ثُمَّ يُطَلِّقُها فَتَرْجِعُ إِلى أَبيها وَقَوْمِها)(٨) .

٥- ومنها : عَنِ ابْنِ عَبّاس ، قالَ : شَهِدْنا رَسُولَ الله 9 تِسْعَةَ أَشْهُر يَأْتى كُلَّ يَوْم بابَ عَلِيِّ بْنِ أَبى طالب عليه السلام عَنهُ عِندَ وَقْتِ كُلِّ صَلاة فَيَقُولُ : " السّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وبَرَكاتُهُ أَهْلَ الْبَيتِ ﴿**إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ الصَّلاةُ رَحِمَكُمُ اللهُ " كُلَّ يوم خَمْسَ مَرّات)[٩].

والظاهر ان هذا العدد من الادلة يكفي ويفي في بيان من هم أهل البيت (عليهم السلام) ؛ لأن الدلالة مطابقية وتعينية في بيان الافراد والمصاديق ، فلا يمكن أن ينكرها احد، وخير كلمة اذكرها في هذا المقام واختم بها المطلب هو كلام للسيد محمد تقي الحكيم قدس سره في هذا الشأن اذ يقول: " فدعوى نزولها في نساء النبي شرف لم تدعه لنفسها واحدة من النساء، بل صرحت غير واحدة منهن بنزولها في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين" [١٠].

لقد كانت المرجعية الفكرية والمرجعية في العمل القيادي والاجتماعي تتمثلان بشخص النبي الاكرم ﷺ[١١]، وهذا مما لا خلاف فيه بين الامة الاسلامية ، ولكن بعد انتقال النبي ﷺ الى الرفيق الاعلى اختلف المسلمون في تعيين هذه المرجعية ، والى مَن تؤول ، والذي عليه الامامية هو أن أهل البيت عليهم السلام يمثلون الامتداد الطبيعي الى الرسول الاكرم ، فمرجعية أهل البيت عليهم السلام نابعة من مرجعية الرسول ﷺ، ولا نريد الخوض في هذا ، لان المحل لا يسع الى تناول الأمور الاخرى.

ولقد زخرت مصادر المسلمين في بيان هذه المرجعية ، وهنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر نماذجا من تلك النصوص ، التي جاءت عن طرق الفريقين ، فقد جاء عن طريق العامة الكثير من الروايات التي تتضمن تعيين مرجعية أهل البيت (عليهم السلام)، فقد حثّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأُمّة على التمسك بعترته وجعلهم عدلا للكتاب وأوجب عليهم الرجوع إلى أهل بيته ، وأكّد على ذلك مراراً ، ومن ذلك :

١ – حديث الثقلين المعروف الذي رواه ما يربو على بضع وعشرين صحابيّاً[١٢] ، وقد ذكر بألفاظ مختلفة : فقد أخرج الترمذي بإسناده عن جابر ابن عبد الله قال : ((رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب ، فسمعته يقول : يا أيّها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي)) [١٣]. وأخرج مسلم في صحيحه بإسناده عن زيد بن أرقم قال : ((قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ، ثمّ قال : أمّا بعد ألا يا أيّها الناس ، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأُجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به – فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثمّ قال – : . . . وأهل بيتي ، أُذكّركم الله في

أهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي ! !)) [١٤] . وأخرج الحافظ أبو بكر ابن أبي شيبة : إنّ النبي ﷺ قال في مرض موته : ((أيّها الناس يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً ، فينطلق بي ، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم ، ألا إنّي مخلّف فيكم الثقلين : كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي . . .))[١٥] .

وقال القاري في شرح المشكاة : ((الأظهر هو أنّ أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله ، فالمراد بهم أهل العلم منهم ، المطّلعون على سيرته ، الواقفون على طريقته ، العارفون بحكمه وحكمته ، وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلا لكتاب الله سبحانه ، كما قال : ﴿ويعلّمهُمُ الكتابَ والحِكْمةَ ﴾[١٦]))[١٧] .

وأخرج الحمويني الشافعي إبراهيم بن محمّد مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد النبي ﷺ وفي ضمنها :قال عليه السلام : ((أُنشدكم الله أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قام خطيباً لم يخطب بعد ذلك .... فقال : يا أيّها الناس إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فتمسكوا بهما لن تضلوا ، فإنّ اللطيف الخبير أخبرني وعهد إليَّ أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ، فقام عمر بن الخطّاب شبه المغضب فقال : يا رسول الله أكلّ أهل بيتك ؟ فقال : لا ، ولكن أوصيائي منهم ، أولهم أخي ووزيري وخليفتي في أُمّتي ووليّ كل مؤمن بعدي هو أوّلهم ، ثمّ ابني الحسن ثمّ ابني الحسين ، ثمّ تسعة من ولد الحسين واحداً بعد واحـــــد حتى يردوا عليَّ الحوض ، هم شهداء الله في أرضه وحجّته على خلقه وخزّان علمه ومعادن حكمته ، من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله ، فقالوا كلّهم : نشهد أن رسول الله ﷺ قال ذلك))[١٨].

٢ – **حديث السفينة** ، الذي رواه عدد غفير يربو على المئة : فقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده عن حنش قال : سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ باب الكعبة : أيّها الناس من عرفـــني فأنا من عرفتـــــم ومن أنكرني فأنا أبو ذر ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق)) . قال الحاكم: ((هذا حديث صحيح على شرط مسلم))[١٩].

وروى أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمي : عن أبي سعيد الخدري ، قال : صلّى بنا رسول الله ﷺ الأُولى ، ثمّ أقبل بوجهه الكريم علينا فقال : ((يا معشر أصحابي إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح وباب حطّة في بني إسرائيل ، فتمسكوا بأهل بيتي بعدي الأئمة الراشدين من ذريتي ، فإنكـــم لن تضلّوا أبداً » فقيل : يا رسول الله كم الأئمة بعدك ؟ قال : « إثنا عشر من أهل بيتي – أو قال – من عترتي)) [٢٠].

فهذه النّصوص المتواترة تدل على تأسيس النبي الاكرم ﷺ لمبدأ مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) في مختلف الجوانب الفكرية للشريعة ، لوجود تفصيلات خاصة عند أهل البيت (عليهم السلام) تلقوها عن النبيّ ﷺ في مجالات علوم القرآن والتفسير والفقه وغيرهما[٢١] .

ومن الروايات عن طريق الخاصة التي يمكن حملها أيضا على أنّها في مقام بيان هذا المبدأ – مبدأ مرجعيّة أهل البيت (عليهم السلام)– من قبيل رواية زيد الشحام ، قال : ((دخل قتادة على أبي جعفر عليه السلام: فقال له : أنت فقيه أهل البصرة . فقال : هكذا يزعمون . فقال عليه السلام: بلغني انك تفسر القرآن ، قال : نعم – إلى أن قال – يا قتادة ، ان كنت قد فسرت القرآن من تلقاء نفسك ، فقد هلكت وأهلكت ، وإن كنت قد فسرته من الرجال فقد هلكت وأهلكت يا قتادة – ويحك – انما يعرف القرآن من خوطب به))[٢٢] ، ومن قبيل خبر حمزة بن طيّار ، أنّه عرض على أبي عبد اللّه عليه السلام بعض خطب أبيه حتى إذا بلغ موضعا منها قال له : ((كفّ واسكت)) ، ثمّ قال أبو عبد اللّه عليه السلام : ((لا يسعكم فيما ينزل بكم ممّا لا تعلمون إلّا الكفّ عنه والتثبّت والردّ إلى أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على الحقّ ، ويجلوا عنكم فيه العمى ، ويعرّفوكم فيه الحقّ ، قال اللّه : ﴿واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾))[٢٣] .

وخلاصة القول ان مرجعية أهل البيت (عليهم السلام) لا يختلف فيها أحد لما ذكرناه من الادلة المدونة بكتب الفريقين ، فالنصوص واضحة ، وانها لا تحتاج الى تأويل أو افراغ الوسع للوصول الى مطالبها ، فمرجعية أهل البيت (عليهم السلام) مرجعية شرعية بأمر من الله عز وجل ومن رسوله ﷺ ، فهي لم تكن نابعة من أمر شخصي أو حب أو هوى ، فالمتخلف عنهم متخلف عن الرسول ، والمتخلف عن الرسول متخلف عن الله عز وجل .

مفهوم المصطلح الديني مركب اضافي من مفردتين هما المصطلح ، والدين ، ولمعرفة هذا المركب لا بد من معرفة جزئي المركب فنبدأ بمعنى المصطلح ، فالمصطلح لغة : هو مصدر بوزن (الافتعال) ، وفعله اصطلح ، بمعنى دخل في الصلح ، أو شارك فيه ، أو استجاب له ، وكل هذه المعاني يجمعها الاتفاق على شيء[٢٤].

ولذلك عدّ بعض ان اللغة هي الاتفاق من لدن الناطقين بها على التخـــــــاطب . فهي اصطلاح جماعي ، على تسمية الاشياء وتخصيص الفاظ معينة لها، وتأليفها في انساق من الكلام يتم بها التواصل بين تلك اللغة .

أما اصطلاحا: فقد ذكر الجرجاني تعاريف عدة ، منها: بأنه إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما ، ومنها : بأنه اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى . ومنها :بأنه إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد . وقيل : هو لفظ معين بين قوم معينين . أو هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول .أو هو عبارة عن اتفاق القوم على وضع الشيء[٢٥].

فمن خلال ما تقدم نعرف أنه إخراج اللفظ عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد لذلك العلم ، فهو لفظ مخصوص بالعرف الذي يتوافق عليه أهل أي علم أو فن أو صناعة لإعطاء اللفظ اللغوي دلالة تخص ذلك العلم أو الفن مثل (الفاعل) عند النحاة ، و(الوتد) عند العروضيين.

والديني : هو ما ينسب الى الدين ، والدين في اللغة يأتي بمعان منها : الجزاء ، والطاعة ، والمعاملة ، والعادة وغيرها[٢٦] .

وفي الاصطلاح : هو المراد به الدين الاسلامي من خلال انظمته ، وقوانينه ، ومناهجه في ارساء المعرفة ، التي يتبعها العمل .

اذاً فالمراد بالمصطلح الديني : تلك الالفاظ الخاصة بالدين الاسلامي، وما يتعلق به من أمور سواء كانت على المستوى العلمي(النظري) أو المستوى العملي، وذلك بإخراج هذه الكلمة من معـــــــــناها اللغوي الاصلي، واطلاقها على المعنى الخاص بهم، وقريب منه تحديد بعضهم بكونه اتفاق قوم على تسمية شيء باسم، بعد نقله من الاستعمال الاول، أو اللغوي لمناسبة بينهما ، كالعموم والخصوص، أو لمشاركتهما في امر او مشابهتهما في وصف أو غير ذلك [٢٧].

من خلال تتبع المفردات التي وردت في الشريعة الاسلامية يمكن تقسيمها على النحو الاتي :

١- مصطلحات امضائية : ويقصد بها كل مصطلح امضاه الاسلام ، وتعامل معه على ما كان عليه قبل الاسلام ، ومثال ذلك كلمة: البيع ، والربا ، والكثير من المفردات التي كانت شائعة في عصر النزول ؛ لان مبدأ الاسلام الاساس هو مخاطبة الناس بما هو معلوم وما هو متيقن ، وقد بين الله عز وجل هذا الامر بقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ** ﴾(سورة الابراهيم: ٤).

٢- مصطلحات منقولة : وهو ما وضع لشيء واستعمل في شيء آخر مثال ذلك كلمة الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، فان معانيها في اللغة شيء واستعملت في شيء آخر ، فكذلك مصطلحات علوم القرآن فمنها ما هو منقول من اللغة مثل مصطلح الجري ، التأويل ، والتفسير وغيرها.

٣- مصطلحات مخترعة : والمقصود بها ما استعملها الشرع ابتداء، كما في مصطلح الايمان ، قال تعالى : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ** ﴾ (الشورى : ٥٢) ، ومن المصطلحات المخترعة في علوم القرآن مثلا مصطلح المحكم والمتشابه قال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾ (آل عمران: ٧) ، ومصطلح النسخ قال تعالى : ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (البقرة: ١٠٦)

بعد ان عرفنا ان الاصطلاح هو الاتفاق عند اهل علم او فن أو صناعة على اعطاء لفظ لاحدى المعانى وتخصيصه بها ويتواضعون على استعمالها، وباتساع العلوم وتخصصها وتطور الفنون وتكاثر الصناعات والاختصاصات العلمية والمهنية ، والثراء العلمي اتسع مجال المصطلح ، وبدأ يبرز بشكل واسع ، واصبح لغة خاصة لا يمكن تحصيل المعرفة والخبرة بدونها ، ونشأ عنها علم جديد هو (علم المصطلح) ولهذا قال بعضهم: لا علم بلا اصطلاحات[٢٨] .

وتعد اللغة العربية من اغنى اللغات بالمصطلحات ، التي واكبت تطور الفكر الاسلامي والعلوم الاسلامية ، واستيعاب تراث الحضارة الانسانية . وكانت البداية من القرآن الكريم ، الذي جاء بألفاظ كانت لها معان لغوية من قبل، فأعطاها دلالات جديدة ، كألفاظ الصلاة ، والزكاة والايمان والكفر والتقوى ، وغيرها كثير ، فمعانيها اللغوية قبل الاسلام معروفة ، وهي غير المعاني التي خصها القرآن الكريم بها ، وبذلك يكون القرآن هو الذي سن للمسلمين سنة الاصطلاح .

ومن المعلوم انه لا يمكن نقل المعرفة العلمية والتقنية الا بلغة خاصة في مقابل اللغة العامة التي يستعملها عامة الناس لأغراضهم ، وهذه اللغة الخاصة مستسقاة من اللغة العامة ، وتتميز في ضوء اصطلاحيتها بالدقة والايجاز في نقل المعنى المطلوب[٢٩] .

وعلوم القرآن التي نالت الاهتمام الاكبر لدى المسلمين لمكانة القرآن الكريم ، كونه مدار عبادتهم اصبح ميدانا لأباحثهم ، فكان كأي علم له مصطلحاته الخاصة التي لا يمكن لأحد ان يخوض فيه ما لم يحط بذلك المصطلح لأنه مفتاح لتلك العلوم ، اذ لو ورد في قول المفسر أو الفقيه بان الآية منسوخة ، ولم يعرف ذلك المصطلح لما عرف ما يترتب على الآية من أحكام كونها منسوخ إذ المنسوخ لا يعمل به ، أو قالوا ان الآية مدنية ، والآية المدنية حكمها ان تكون حاكمة على المكية ، ومعنى الحاكمة انها تتصرف في الآية المكية ، فلا يعمل بالمكي لأنه متقدم على المدني اذا كانا في موضوع واحد ، وغيرها من الامثلة.

علوم القرآن مركب اضافي من لفظتين القرآن والعلوم ، ومن نافلة القول تعريف القرآن ، لأنه اصبح من الضروريات التي يعرفها كل مسلم ، والافضل الانتقال الى تعريف علوم القرآن ، فقد مرّ هذا المصطلح بمراحل ، فكان في عصور المتقدمين يطلق على العلوم التي تؤخذ من علوم الشرع ، كالعقيدة ، أو الفقه ، أو الاخلاق ، أو المعارف العامة حول الانسان والكون ، ثم جعل العلماء هذا العلم المركب اسم علم يراد به معنى خاص يدل على علم خاص غير ما سبق، لان هذا المعنى الجديد يختص بأنه علم واحد يجمع ضوابط تلك العلوم المتصلة بالقرآن الكريم[٣٠] ، فقد عرفه الزرقاني: بأنه مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه ونحو ذلك[٣١]، وعرفه السيد محمد باقر الحكيم بأنه : "جميع المعلومات ، والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم، وتختلف هذه العلوم في الناحية التي تتناولها من الكتاب الكريم"[٣٢]. وعرف أيضا : بأنه مصطلح لمسائل دارت حول مختلف شؤون القرآن الكريم ، كل مسألة تبحث عن شأن من شؤونه غير الذي تبحث عنه مسالة أخرى[٣٣]، ومنهم من عرفه : بأنه سلسلة مباحث القرآن الكريم باستثناء معانيه وتفسير آياته ، إذ تلقي نظرة خارجية عليه ، وهي مباحث تسبق تفسير القرآن ، وتؤلف مباحث (الوحي ، تاريخ نزول القرآن ، تاريخ جمع القرآن ، القراءات ، الاعجاز ، حفظ القرآن من التحريف) جزءا من مسائله[٣٤] .

والاولى تعريفه بأنه : المباحث الكلية التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله ، وترتيبه ، وجمعه ، وكتابته ، وتفسيره ، واعجازه ، وناسخه ، ومنسوخه . لا كما ذهب السيد الحكيم رحمه الله وآخرون الى اطلاق العلوم التي يتناولها ، لان بعض الموارد هي ليست من تخصص علوم القرآن.

لقد اختلف العلماء حول بدايات هذا العلم ، فقد ذهب بعض العامة ان اول من ألف في هذا العلم هم علماء السنة ، يقول الزرقاني(١٣٦٧هـ) : (إنَّ علوم القرآن كفن مدون استهلت صارخة على يد الحوفي في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس ثم تربت في حجر ابن الجوزي والسخاوي وأبي شامة في القرنين السادس والسابع. ثم ترعرعت في القرن الثامن برعاية الزركشي. ثم بلغت أشدها واستوت في القرن التاسع بعناية الكافيجي وجلال الدين البلقيني. ثم اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر بهمة فارس ذلك الميدان صاحب كتابي التحبير والإتقان في علوم القرآن السيوطي) [٣٥].

ولكـــــــــــن من تتبع بدايات هذا العلـــــــــــــم ، والمراحل الاولى لتأسيسه يجد أن البذرة الاولى كانت على يد الرسول ﷺ والائمة المعصومين (عليهم السلام)، من خلال طرح مصطلحاته اما استرسالا

من غير قصد ، أو من خلال التعليم المقصود ، ومثال الحالة الاولى ما نجده في ما نقله الامام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: قَالَ عليه السلام : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله : (هُوَ كِتَابٌ فِيهِ تَفْصِيلٌ وَ بَيَانٌ وَ تَحْصِيلٌ وَ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ وَ لَهُ ظَهْرٌ وَ بَطْنٌ فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ وَ بَاطِنُهُ عِلْمٌ ، ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَهُ نُجُومٌ وَ عَلَى نُجُومِهِ نُجُومٌ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَ لَا تُبْلَى غَرَائِبُهُ فِيهِ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَ مَنَارُ الْحِكْمَةِ وَ دَلِيلٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ)[٣٦]، وكلام وخطب أمير المؤمنين عليه السلام، إذ يقول: (فِي الْقُرْآنِ نَاسِخٌ وَ مَنْسُوخٌ وَ مُحْكَمٌ وَ مُتَشَابِهٌ وَ خَاصٌّ وَ عَامٌّ وَ مُقَدَّمٌ وَ مُؤَخَّرٌ وَ عَزَائِمُ وَ رُخَصٌ وَ حَلَالٌ وَ حَرَامٌ وَ فَرَائِضُ وَ أَحْكَامٌ وَ مُنْقَطِعٌ وَ مَعْطُوفٌ وَ مُنْقَطِعٌ غَيْرُ مَعْطُوفٍ وَ حَرْفٌ مَكَانَ حَرْفٍ وَ مِنْهُ مَا لَفْظُهُ خَاصٌّ وَ مِنْهُ مَا لَفْظُهُ عَامٌّ مُحْتَمِلُ الْعُمُومِ وَ مِنْهُ مَا لَفْظُهُ وَاحِدٌ وَ مَعْنَاهُ جَمْعٌ وَ مِنْهُ مَا لَفْظُهُ جَمْعٌ وَ مَعْنَاهُ وَاحِدٌ وَ مِنْهُ مَا لَفْظُهُ مَاضٍ وَ مَعْنَاهُ مُسْتَقْبِلٌ وَ مِنْهُ مَا لَفْظُهُ عَلَى الْخَبَرِ وَ مَعْنَاهُ حِكَايَةٌ عَنْ قَوْمٍ آخَرَ وَ مِنْهُ مَا هُوَ بَاقٍ مُحَرَّفٌ عَنْ جِهَتِهِ وَ مِنْهُ مَا هُوَ عَلَى خِلَافِ تَنْزِيلِهِ وَ مِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ فِي تَنْزِيلِهِ وَ مِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ قَبْلَ تَنْزِيلِهِ وَ مِنْهُ مَا تَأْوِيلُهُ بَعْدَ تَنْزِيلِهِ وَ مِنْهُ آيَاتٌ بَعْضُهَا فِي سُورَةٍ وَ تَمَامُهَا فِي سُورَةٍ أُخْرَى وَ مِنْهُ آيَاتٌ نِصْفُهَا مَنْسُوخٌ وَ نِصْفُهَا مَتْرُوكٌ عَلَى حَالِه)[٣٧].

ومثال الحالة الثانية اي التعليم المباشر قول الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام: (لِقَاضٍ هَلْ تَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ؟ قَالَ: لَا ، قَالَ: فَهَلْ أَشْرَفْتَ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي أَمْثَالِ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: لَا ، قَالَ عليه السلام: إِذاً هَلَكْتَ وَ أَهْلَكْت)[٣٨].

وهذا لم يقتصر على الامام علي عليه السلام ، وإنَّما نجـــــــده على يد كل امام من ائمة أهـــــــــل البيت (عليهم السلام)، بل ونجد اروع صوره عند الصديقة الظاهرة (عليها السلام) عـندما احتجـــت على القوم عندما منعوها حقها بفدك بقولها : (أَ فَخَصَّكُمُ اللَّهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله مِنْهَا؟! أَمْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لَا يَتَوَارَثُونَ؟! أَ وَ لَسْتُ أَنَا وَ أَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟ أَمْ لَعَلَّكُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَ عُمُومِهِ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله ؟! ﴿أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُون﴾)[٣٩].

يقول السيد حسن الصدر : (لابد من التنبيه على تقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، في تقسيم أنواع علوم القرآن ، فإنه أملى ستين نوعا من أنواع علوم القرآن ، وذكر لكل نوع مثالا يخصه ، وذلك في كتاب نرويه عنه من عدة طرق)[٤٠].

ويقول مناع القطـــــــان عن بديات ظهور هذه العلوم ودور الامام علي عليه السلام في تأسيس علوم القرآن بقوله : (ثم كانت خلافة علي رضي الله عنه ، فوضع أبو الاسود الدؤلي بأمر منه قواعد النحو ، صيانة لسلامة النطق ، وضبطا للقرآن الكريم ، ويعتبر ذلك بداية (لعلم اعراب القرآن)[٤١].

وهذا ما يسمـــــــــح به المقام والا هناك العديد من الادلة والاقوال التي تدل على ان يد السبق كانت لأهل البيت (عليهم السلام).

المطلب الثالث : أهمية علوم القرآن ، وآليات الاستفادة منها

أ- **أهمية علوم القرآن** : من خلال تعريف علوم القرآن يتضح مكانة وأهمية علوم القرآن في الثقافة الاسلامية، لأنه يتناول المصدر الاول من مصادر التشريع الاسلامي ألا وهو القرآن الكريم ، فأهميته نابع من أهمية ما تبحثه ، هذا من جانب ومن جانب آخر نجد أن لبعض مباحث علوم القرآن العلاقة الوثيقة والارتباط المباشر ببعض العلوم الاسلامية الاخرى التي تتوقف عليها ، فعلى سبيل المثال لا حصر نذكر مثالين هما :

١- **علاقة علوم القرآن بعلم التفسير:** ومن المعلوم أنه لا يستطيع أحدٌ أن يعمل بالقرآن إلاَّ إذا فهم معانيه ، ولا تُفهم معانيه إلاَّ بمعرفة تفسيره ، ولا يستطيع أحدٌ أن يخوض غمار التفسير إلاَّ إذا تسلّح بسلاح علوم القرآن ؛ فعلم علوم القرآن إذن هو مفتاح الدخول إلى تفسير القرآن الكريم ، وتفسيرُ القرآن الكريم هو الطريق الموصل في النهاية إلى العمل بالقرآن العظيم ، ولا ريب أن العمل بالقرآن هو المقصود الأعظم الذي نزل القرآن من أجله. ونجد ذلك جليا في قول الامام علي عليه السلام : عندما مر على قاض، فقال: (هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا ، فقال: هلكت و أهلكت)[٤٢].

وعن أهمية علوم القرآن يقول محمد معرفة : "يكفيك أن تعلم أن ليس باستطاعتك الحصول على حقائق معاني القرآن الا عبر هذه البحوث ، والتي هي مبادئ وتمهيدات لإمكان البلوغ الى تلك الغاية المنشودة"[٤٣].

فعلوم القرآن تساعد بشكل فاعل في فهم كتاب الله العزيز ، وقد بلغة أهمية العلوم مبلغا بحيث لا يمكن فهم القرآن بشكل دقيق دون ملاحظتها ، كمباحث أسباب النزول ، والمحكم والمتشابه ، والقراءات ، فالمفسر لا يستطيع الخوض في بيان مراد الله عز وجل الا بعد بيان علاقة الآيات فيما بينها ، لان هذه العلاقات فيما بين هذه العلوم حاكمة بعضها على بعض .

٢- علاقة علوم القرآن بعلم اصول الفقه: ان معرفة علوم القرآن لابدّ لِمَن يريد أنْ يستنبط من القرآن أن يعرف علوم القرآن وإلاّ وقع في المحذور ، فقد روى الإمام الصادق عليه السلام عن جده أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال لقاضٍ: **((هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: فهل أشرفت علىٰ مراد الله عزّ وجل في أمثال القرآن؟ قال: لا، قال: إذاً هلكت وأهلكت))**[٤٤]. ولابدّ من النّظر في غريب القرآن و المحكم والمتشابه ، والأمر والنّهي ، لأهمية ذلك في الاستنباط ، ففي حديث يذم الإمام ابو عبد الله عليه السلام من ترك هذه الأمور بقوله: **((وترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ من المنسوخ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي))**[٤٥]. وعليه لابدّ لمن يريد ان يستنبط من القرآن ان يكون عارفا وعلىٰ بينة بعلوم القرآن (من اسباب النزول والمكي والمدني) وغيرها من علوم القرآن التي تساعد في فهم كتاب الله.

وتوضيحه من خلال المراحل التي يمر بها المكلف لتحديد الحكم الشرعي ويمكن بيانها على هذا الترتيب :

١. قطع المكلف بالحكم الشرعي من أي طريق حصل له القطع بالحكم ، سواء أكان عن طريق الوجدان أو النقل أو غيرها ، وجب العمل بقطعه ، وهو من البديهيات ، فان القطع عقلا منجز للتكليف في حالة الإصابة للواقع ، و معذر عند عدم الإصابة للواقع والمخالفة ، و التنجيز والتعذير لا زمان عقليان للقطع بالحكم الشرعي ، ولا تنال يدُ الشريعةِ القطعَ وضعا ولا رفعا. وبما أن المقام هو ظواهر الألفاظ في القرآن الكريم ،وان علوم القرآن أحدى تلك الظواهر القرآنية ، فكان من المفيد جدا التعريج على كيفية إفادة الأصولي من علوم القرآن . فالأصولي يتبع أسلوب الاستقراء في تتبع تلك العلوم، للخروج بقاعدة كلية تكون في الغالب مطردة ، بحيث تعم اغلب أبواب الفقه ، أو كما يعبر عنها السيد الشهيد الصدر بالعناصر المشتركة في عملية الاستنباط[٤٦]، فمن خلال تتبع علوم القرآن يستطيع أن يصل إلى قاعدة كلية تحدد الطريق للفقهيه ، وتكون حجة له بحيث إذا أفتى في شيء قيل له : وما دليلك؟ استطاع أن يشير إلى تلك القاعدة ، وهو كما يعرف بالعلوم الحديث من قابليتها للقياس والتقويم والتجربة ، إذا له - الأصولي- وقفةٌ مع الناسخ والمنسوخ ، والعام والخاص ، والمطلق والمقيد ، وأسباب النزول ، وغيرها من علوم القرآن يبينها الباحث في محله ، فلا يمكن تجاهل تلك العلوم لما لها الدور الأساس في بيان كثير من الأحكام من جهة ، ومن جهة أخرى لما بين الآيات القرآنية من علاقة وثيق ، لأن القرآن عبارة عن وحدة متكاملة لا يمكن تجاهل أي جزء منها ، وهذا ما سار عليه الأولين وتابعهم عليه المتأخرون . إذ من خلال تتبع علوم القرآن وعلاقاتها بالأحكام الشرعية يستطيع الأصولي الوصول إلى دلالةٍ ربما لا يصل إليها إلا عن طريقها ، لان بعض

الأحكام أصابها النسخ ، وبعضها أصابها التخصيص ، وبعضها أصابها التقييد بعد أن كانت مطلقة ، وبعضها له سبب نزول ، وهذا يرجع إلى طبيعة القرآن وحكمة الله عز وجل من حيث مراعاة التدرج في التشريع ، فمن هذا لا يمكن الإغماض عن دور علوم القرآن في إرساء مجموعة لا يستغنى عنها من القواعد الأصولية.

٢. عدم قطع المكلف بالحكم الشرعي ، وفي هذا الحال يرجع إلى الأدلة الظنية ، التي ثبت اعتبارها وحجيتها بدليل معتبر من ناحية الشارع ، وهو ما يسمى بالحجة بالعرض في مقابل الحجة بالذات وهو القطع ، وهذه الطائفة من الأدلة الظنية ثبت اعتبارها وحجيتها بدليل شرعي معتبر ، أي أن الشارع أحال المكلف إلى العمل بها حال تعذر الطريق الأول ، و تسمى عادة بـ (الإمارات) و(الطرق) و (الظنون الخاصة) وذلك مثل (خبر الثقة الواحد) و(الإجماع) و(الشهرة) وغير ذلك من الأدلة الظنية التي اعتبرها الشارع وتعبدنا بها ، والا لا يمكن تصور وضع الشريعة في حال عدم وجود ما يرجع اليه المكلف حال تعسر الطرق القطعية. وبعض علوم القرآن يرجع إلى هذه الأدلة الظنية ، إذ منها ما يرجع إلى الناسخ والمنسوخ ، ومنها ما يرجع إلى تخصيص العام ، أو تقييد المطلق ، أو بيان أسباب نزول ، أو المكي والمدني ، أو غيرها من علوم القرآن ، وتعامل هذه الظنون معاملة الظنون الخاصة ، التي اعتبرها الشارع ، من حيث الاعتبار والتعويل عليها حال ثبوت كونها حجة في مقام الاستنباط. فلا بد من استقراء مصاديق علوم القرآن ، والبحث عن ما تنتجه من أحكام شرعية ، لبناء قواعد كلية تسعف الفقيه حال الاستنباط ، ويرجع إليها حال وجود حوادث مشابهة ، إذ لا يمكن تجاهل هذا ، والوقوف في حيرة عند عدم معرفة واقعة معينة ، لان القرآن يحوي خزين ثلاث وعشرون سنة من الوحي ، والتشريع وإرساء دولة قائمة إلى قيام الساعة .

ب- آليات الاستفادة من علوم القرآن : من خلال تتبع علوم القرآن نجدها تتنوع تبعا لمصدرها ، أي ان منها ما يعامل معاملة النص ومنها ما هو قائم على الاجتهاد ويمكن اجمالها بما يأتي :

١- ان جملة من مسائله نقلية لا مجال فيها للرأي ، كأسباب النزول الصريحة ، ومبهمات القرآن ، وفضائل السور ، والقراءات التي قرئ بيها . فلا مجال للقول بان حرف كذا يقرأ بكذا الا بأثر ، ولا مجال للحكم بان سبب نزول الآية كذا الا بالنقل . والنقلي يستفاد منه في بيان مراد الله عز وجل وهو يخضع الى موازين قبول الرواية ، فان كانت الرواية صحيحة فهي حجة ووجب العمل بها ، والا لا تكون حجة و لا يجب العمل بها .

٢- ان جملة منها الاصل فيها نقلي ، لكن اذا انعدم النقل قام الاجتهـــــاد المبني على النقل ، كعلم المكي والمدني ، قال السيوطي (ت٩١١هـ) : " قال الجعـــــــــــــــبري لمعرفة المكي والمدني طريقان : سماعي ، وقياسي ، فالسماعي ما وصل إلينا نزوله بأحدهما و والقياسي: كل سورة فيها﴿ يا أيها الناس﴾ فقط أو ﴿كلا﴾ أو أولها حرف تهج سوى الزهراوين والرعد أو فيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة فهي مكية وكل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية مكية وكل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية" (٤٧).

٣- ان بعضا من علومه مبني على الاجتهاد المحض ، كعلم تناسب الاي والسور ، وعلم اعجاز القرآن . فان بعض المسائل العلمية في علوم القرآن قد تكون من باب الاجتهاد المستند الى النصوص ، أو الى الواقع المرتبط بالمسألة ، أو الى غيرها من القرائن التي يستند اليها المجتهد في بيان بعض مسائله وتحريرها.

وخلاصة ما تقدم نجد ان علوم القرآن منه ما كان معتمدا على النقل فلا يجوز فيه الاجتهاد، وانه من يقول برأيه يكون كمن قال في القرآن برأيه ، بل هو قول برأيه ، أما ما لا يتوقف على النقل فلا تترتب عليه آثار ، ان لم يكن مخالفا لضروري من ضروريات الاسلام أو حقيقية قرآنية ثابتة .

لم ينفكْ أهل البيت (عليهم السلام) في نشر علوم السماء من خلال خطبهم واحاديثم ومجالسهم ، فكان في أحدى أساليبه هو الالقاء لهذه المصطلحات لا على نحو التعليم المباشر ، وانما كان الكلام عنها عرضيا، كما في كثير من الخطب التي ألقوها عليهم السلام ، وهذا وازعا لاصحابهم ان يسألوا عن تلك المصطلحات بعد الانتهاء من الخطبة أو الحديث ، إذ مَن يَعلم دورَ الرسولِ9 وأهلَ البيت(عليهم السلام) يعلم ان ما يلقونه من علوم انما هو عن غاية وقصد فلا يكون كلامهم اعتباطا ، ونذكر امثلة من كلامهم عليهم السلام في ذكر مجموعة من الاصطلاحات وهي :والرويات التي وردت فيها كثيرة من الامثلة التي تتبعتها ما يأتي :

١. جاء في الكافي : عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ آبَائِهِ (عليهم السلام) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (هُوَ كِتَابٌ فِيهِ تَفْصِيلٌ وَ بَيَانٌ وَ تَحْصِيلٌ وَ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ وَ لَهُ ظَهْرٌ وَ بَطْنٌ فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ وَ بَاطِنُهُ عِلْمٌ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَهُ نُجُومٌ وَ عَلَى نُجُومِهِ نُجُومٌ لَا تُحْصَى عَجَائِبُهُ وَلَا تُبْلَى غَرَائِبُهُ فِيهِ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَ مَنَارُ الْحِكْمَةِ وَ دَلِيلٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ لِمَنْ عَرَفَ الصِّفَةَ، فَلْيَجْلُ جَالٍ بَصَرَهُ وَ لْيُبْلِغِ الصِّفَةَ نَظَرَهُ يَنْجُ مِنْ عَطَبٍ وَ يَتَخَلَّصْ مِنْ نَشَبٍ، فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْمُسْتَنِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ فَعَلَيْكُمْ بِحُسْنِ التَّخَلُّصِ وَ قِلَّةِ التَّرَبُّص)(٤٨).

٢. جاء في بصائر الدرجات: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْعِجْلِيِّ عَنْ أَحَدِهِمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ فَرَسُولُ اللَّهِ أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ قَدْ عَلَّمَهُ اللَّهُ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَ التَّأْوِيلِ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يُعَلِّمْهُ تَأْوِيلَهُ وَ أَوْصِيَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ إِذَا قَالَ الْعَالِمُ فِيهِ فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا وَ الْقُرْآنُ خَاصٌّ وَ عَامٌّ وَ مُحْكَمٌ وَ مُتَشَابِهٌ وَ نَاسِخٌ وَ مَنْسُوخٌ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَهُ)[٤٩]. إذ بين هنا مجموعة من علوم القرآن هي : الخَاص وَ العَام وَ المُحْكَم وَ مُتَشَابِه وَ نَاسِخ وَ مَنْسُوخ .

٣. وجاء عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ عَلِيٌّ عليه السلام الْكُوفَةَ صَلَّى بِهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ، فَقَرَأَ بِهِمْ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ : وَ اللَّهِ مَا يُحْسِنُ أَنْ يَقْرَأَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ الْقُرْآنَ ، وَ لَوْ أَحْسَنَ أَنْ يَقْرَأَ لَقَرَأَ بِنَا غَيْرَ هَذِهِ السُّورَةِ ، قَالَ: فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ عليه السلام: وَيْلَهُمْ إِنِّي لَأَعْرِفُ نَاسِخَهُ وَ مَنْسُوخَهُ وَ مُحْكَمَهُ وَ مُتَشَابِهَهُ وَ فَصْلَهُ مِنْ وَصْلِهِ وَ حُرُوفَهُ مِنْ مَعَانِيهِ وَ اللَّهِ مَا حَرْفٌ نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا وَ أَنَا أَعْرِفُ فِيمَنْ أُنْزِلَ وَ فِي أَيِّ يَوْمٍ نَزَلَ وَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ نَزَلَ وَيْلَهُمْ أَ مَا يَقْرَءُونَ إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ اللَّهِ عِنْدِي وَرِثْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ وَ وَرِثَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَيْلَهُمْ وَ اللَّهِ إِنِّي أَنَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيَ وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ فَإِنَّا كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فَخَبَّرَنَا بِالْوَحْيِ فَأَعِيهِ وَ يَفُوتُهُمُ فَإِذَا خَرَجْنَا قَالُوا ما ذا ﴿قالَ آنِفاً﴾)[٥٠]. فقد ذكر الامام عليه السلام مجموعة من علوم القرآن هي الخَاص وَ العَام وَ المُحْكَم وَ مُتَشَابِه وَ النَاسِخ وَ المَنْسُوخ واسباب النزول .

٤. جاء في الكافي: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: (نَزَلَ الْقُرْآنُ بِإِيَّاكِ أَعْنِي وَ اسْمَعِي يَا جَارَةُ)[٥١]. وهو اسلوب من اساليب الخطالب التي يجب على المفسر ان يعرفها ، وهو ما يسمى بالاشباه والوجوه.

٥. قال جابر و سمعته يقول: (ان القران فيه محكم و متشابه فاما المحكم فنؤمن به و نعمل به و ندين به و اما المتشابه فنؤمن به و لا نعمل به و هو قول اللّه فى كتابه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾)[٥٢]. وهنا يبين الامام عليه السلام ما يترتب على علوم القرآن من آثار فقال : المحكم نعمل به و ندين به.

المطلب الثاني: التعليم المباشر لعلوم القرآن وهو ما كان مقصودا منهم وأنهم عليهم السلام، كانوا يبادرون من يتصدى الى علم التفسير أو الافتاء ، ويسألونه عن علمه بعلوم القرآن وبما يجيده من تلك العلوم ، ومن هذه الامثلة :

١. فقد جاء في تفسير العياشي عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عليا عليه السلام مرَّ على قاضٍ فقال له : (هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا ، فقال: هلكت و أهلكت، تأويل كل حرف من القرآن على وجوه)[٥٣].

٢. جاء في الكافي أن أَبُا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، في مخاطبته لقوم من المتصوفة : (أَخْبِرُونِي أَيُّهَا النَّفَرُ أَ لَكُمْ عِلْمٌ بِنَاسِخِ الْقُرْآنِ مِنْ مَنْسُوخِهِ وَ مُحْكَمِهِ مِنْ مُتَشَابِهِهِ؟ الَّذِي فِي مِثْلِهِ ضَلَّ مَنْ ضَلَّ ، وَ هَلَكَ مَنْ هَلَكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَقَالُوا لَهُ: أَوْ بَعْضِهِ فَأَمَّا كُلُّهُ فَلَا ، فَقَالَ: لَهُمْ فَمِنْ هُنَا أُتِيتُم..... فَبِئْسَمَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ وَ حَمَلْتُمُ النَّاسَ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ص وَ أَحَادِيثِهِ الَّتِي يُصَدِّقُهَا الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ وَ رَدِّكُمْ إِيَّاهَا بِجَهَالَتِكُمْ وَ تَرْكِكُمُ النَّظَرَ فِي غَرَائِبِ الْقُرْآنِ مِنَ التَّفْسِيرِ بِالنَّاسِخِ مِنَ الْمَنْسُوخِ وَ الْمُحْكَمِ وَ الْمُتَشَابِهِ وَ الْأَمْرِ وَ النَّهْيِ..... وَ كُونُوا فِي طَلَبِ عِلْمِ نَاسِخِ الْقُرْآنِ مِنْ مَنْسُوخِهِ وَ مُحْكَمِهِ مِنْ مُتَشَابِهِهِ وَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِيهِ مِمَّا حَرَّمَ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ فِي أَبْعَدُ لَكُمْ مِنَ الْجَهْلِ وَ دَعُوا الْجَهَالَةَ لِأَهْلِهَا- فَإِنَّ أَهْلَ الْجَهْلِ كَثِيرٌ وَ أَهْلَ الْعِلْمِ قَلِيلٌ)[٥٤].

٣. جاء في الكافي: ابْنُ مَحْبُوبٍ عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: قال أبو جَعْفَرٍ عليه السلام : (الْقُرْآنُ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ نَاسِخٌ وَ مَنْسُوخٌ)[٥٥].

فمن خلال هذه النصوص المتقدمة والواضحة الدلالة أن العلم بعلوم القرآن هي عدة المفسر ، والفقيه ، فلا يمكن ان يخوض في هذه العلوم ما لم يكن له حظ منها .

المطلب الثالث : مصطلحات علوم القرآن التي كانت عن نحو سؤال أي ان اصحاب الائمة كانوا هم يبادرون الى سؤال الائمة عليهم السلام لبيان بعض المصطلحات ، فنذكر هنا بعض الروايات كمثال منها:

١. عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّفْسِيرِ فَأَجَابَنِي ثُمَّ سَأَلْتُهُ عَنْهُ ثَانِيَةً فَأَجَابَنِي بِجَوَابٍ آخَرَ ، فَقُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ كُنْتَ أَجَبْتَنِي فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِجَوَابٍ غَيْرِ هَذَا قَبْلَ الْيَوْمِ فَقَالَ: (يَا جَابِرُ إِنَّ لِلْقُرْآنِ بَطْناً وَ لِلْبَطْنِ بَطْناً وَ لَهُ ظَهْرٌ وَ لِلظَّهْرِ ظَهْرٌ يَا جَابِرُ لَيْسَ شَيْءٌ أَبْعَدَ مِنْ عُقُولِ الرِّجَالِ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ إِنَّ الْآيَةَ يَكُونُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ وَ آخِرُهَا فِي شَيْءٍ وَ هُوَ كَلَامٌ مُتَّصِلٌ مُنْصَرِفٌ عَلَى وُجُوهٍ)[٥٦]. واراد الامام من قوله (يَكُونُ أَوَّلُهَا فِي شَيْءٍ وَ آخِرُهَا فِي شَيْء) هو مصطلح تناسب الآي والسور. وكذلك يذكر مصطلح الاشباه والنظائر .

٢. عن سليم بن قيس الهلالي: (قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ عليه السلام: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي سَمِعْتُ مِنْ سَلْمَانَ وَ الْمِقْدَادِ وَ أَبِي ذَرٍّ شَيْئاً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَ مِنَ الرِّوَايَةِ عَنِ النَّبِي ﷺ ثُمَّ سَمِعْتُ مِنْكَ تَصْدِيقَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُمْ وَ رَأَيْتُ فِي أَيْدِي النَّاسِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَ مِنَ الْأَحَادِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تُخَالِفُ الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنْكُمْ ، وَ أَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ أَ فَتَرَى [النَّاسَ] يَكْذِبُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَعَمِّدِينَ وَ يُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِمْ ؟ قَالَ : فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ عليه السلام فَقَالَ لِي: يَا سُلَيْمُ قَدْ سَأَلْتَ فَافْهَمِ الْجَوَابَ إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَ بَاطِلًا وَ صِدْقاً وَ كَذِباً وَ نَاسِخاً وَ مَنْسُوخاً وَ خَاصّاً وَ عَامّاً وَ مُحْكَماً وَ مُتَشَابِهاً وَ حِفْظاً وَ وَهَماً وَ قَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ [فِيهِمْ] خَطِيباً ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" ثُمَّ كُذِبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ حِينَ تُوُفِّيَ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ إِنَّمَا يَأْتِيكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ لَا يَتَأَثَّمُ وَ لَا يَتَحَرَّجُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَعَمِّداً فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَذَّابٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَ لَمْ يُصَدِّقُوهُ ، وَ لَكِنَّهُمْ قَالُوا هَذَا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَآهُ وَ سَمِعَ مِنْهُ وَ هُوَ لَا يَكْذِبُ وَ لَا يَسْتَحِلُّ الْكَذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَ قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَ وَ وَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ [فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ ﴿وَ إِذا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسامُهُمْ وَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ] ، وَ تَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلَالِ وَ الدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَ الْكَذِبِ وَ [النِّفَاقِ] وَ الْبُهْتَانِ فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ وَ حَمَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَ أَكَلُوا بِهِمْ [مِنَ] الدُّنْيَا وَ إِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ [فِي] الدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ فَهَذَا أَوَّلُ الْأَرْبَعَةِ وَ رَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم شَيْئاً فَلَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ وَ وَهِمَ فِيهِ ، وَ لَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً ، وَ هُوَ فِي يَدِهِ يَرْوِيهِ وَ يَعْمَلُ بِهِ وَ يَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ لَمْ يَقْبَلُوا وَ لَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ وَهِمَ [فِيهِ] لَرَفَضَهُ وَ رَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم شَيْئاً أَمَرَ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ أَوْ سَمِعَهُ نَهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَ هُوَ لَا يَعْلَمُ [حَفِظَ] الْمَنْسُوخَ وَ لَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ وَ لَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ [إِذْ سَمِعُوهُ] لَرَفَضُوهُ وَ رَجُلٌ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَ لَا عَلَى رَسُولِهِ بُغْضاً لِلْكَذِبِ وَ تَخَوُّفاً مِنَ اللَّهِ وَ تَعْظِيماً لِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَ لَمْ يُوهِمْ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ فَجَاءَ بِهِ كَمَا سَمِعَهُ وَ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَ لَمْ يَنْقُصْ وَ حَفِظَ النَّاسِخَ [مِنَ الْمَنْسُوخِ فَعَمِلَ بِالنَّاسِخِ]وَ رَفَضَ الْمَنْسُوخَ وَ إِنَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِﷺ وَ نَهْيَهُ مِثْلُ الْقُرْآنِ نَاسِخٌ وَ مَنْسُوخٌ وَ عَامٌّ وَ خَاصٌّ وَ مُحْكَمٌ وَ مُتَشَابِهٌ وَ قَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ كَلَامٌ خَاصٌّ وَ كَلَامٌ عَامٌّ مِثْلُ الْقُرْآنِ يَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّهُ بِهِ وَ مَا عَنَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ 9)[٥٧]. فالذي يدقق في الرواية يجد انه ذكرت مجموعة من علوم القرآن.

٣. عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ مَا مِنَ الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَ لَهَا ظَهْرٌ وَ بَطْنٌ ، فَقَالَ عليه السلام : (ظَهْرُهُ تَنْزِيلُهُ وَ بَطْنُهُ تَأْوِيلُهُ مِنْهُ مَا قَدْ مَضَى وَ مِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَجْرِي كَمَا يَجْرِي الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ كَمَا جَاءَ تَأْوِيلُ شَيْءٍ مِنْهُ يَكُونُ عَلَى الْأَمْوَاتِ كَمَا يَكُونُ عَلَى الْأَحْيَاءِ قَالَ اللَّهُ وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ نَحْنُ نَعْلَمُهُ)[٥٨]. وهنا يركز الامام على مصطلح من مصطلحات عاوم القرآن الا وهو الجري .

٤. وجاء في المحاسن عن أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَرْقِيُّ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الْبَرْقِيِّ عَنْ خَلَفِ بْنِ حَمَّادٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام كَيْفَ اخْتَلَفَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخُفَّيْنِ؟ فَقَالَ: (كَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ الْحَدِيثَ فَيَغِيبُ عَنِ النَّاسِخِ ، وَ لَا يَعْرِفُهُ فَإِذَا أَنْكَرَ مَا يُخَالِفُ فِي يَدَيْهِ كَبُرَ عَلَيْهِ تَرْكُهُ ، وَ قَدْ كَانَ الشَّيْءُ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَعْمَلُ بِهِ زَمَاناً ثُمَّ يُؤْمَرُ بِغَيْرِهِ فَيَأْمُرُ بِهِ أَصْحَابَهُ وَ أُمَّتَهُ حَتَّى قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِنَّكَ تَأْمُرُنَا بِالشَّيْءِ حَتَّى إِذَا اعْتَدْنَاهُ وَ جَرَيْنَا عَلَيْهِ أَمَرْتَنَا بِغَيْرِهِ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ﴿ قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ... إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحى إِلَيَّ وَ ما أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [٥٩].

٥. وجاء في بصائر الدرجات: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ بُكَيْرِ بْنِ صَالِحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ جَعْفَرٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام بِمَكَّةَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّكَ لَتُفَسِّرُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا لَمْ تَسْمَعْ، بِهِ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: (عَلَيْنَا نَزَلَ قَبْلَ النَّاسِ ، وَ لَنَا فُسِّرَ قَبْلَ أَنْ يُفَسَّرَ فِي النَّاسِ فَنَحْنُ نَعْرِفُ حَلَالَهُ وَ حَرَامَهُ وَ نَاسِخَهُ وَ مَنْسُوخَهُ وَ سَفَرِيَّهُ وَ حَضَرِيَّهُ وَ فِي أَيِّ لَيْلَةٍ نَزَلَتْ كَمْ مِنْ آيَةٍ وَ فِيمَنْ نَزَلَتْ وَ فِيمَا نَزَلَتْ فَنَحْنُ حُكَمَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَ شُهَدَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ..)[٦٠].

٦. تفسير العياشي: عن أبي محمد الهمداني ، عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام : قال سألته عن الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه قال: (الناسخ الثابت، و المنسوخ ما مضى، و المحكم ما يعمل به، و المتشابه الذي يشبه بعضه بعضا)[٦١].

الخاتمة :

نحمدك اللهم على ما انعمت علينا من نعمة الولاية ، ونسالك التمام الى النهاية ، واصلي وسلم محمد اعظم آية ، وعلى آله سبيل النجاة من الغواية، فبعد هذه الرحلة التي كانت على عجالة في بيان الحق من عظيم شأن آل البيت (عليهم السلام)في بيان يد السبق لهم في كل فن وعلم ، وقفنا اليوم على منهل من مناهلهم العظيمة التي تظهر عصمتهم وعلمه الرباني في مجال علوم القرآن وكيف ارسوا معالمه ، وكيف حثوا اصحابهم على اتباع ما القوه من اصول ليفرع عليها اصحابه ، فهذا نهجهم وديدنهم ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور ، وقد خرج الباحث بنقاط هي ليست بالجديد على أهل بيت طهرهم الله ولكن احببت ان اثبتها في هذه الورقات وهي:

١- ان المصطلح القرآني اسس له القرآن الكريم نفسه، وقد بينا ذلك من خلال ان الشارع اخترع بعض المصطلحات التي لم تكن معلومة لدى الناس .

٢- ان أثر أهل البيت (عليهم السلام) لم يقتصر على بيان الحلال والحرام ، وانما كان على جميع المستويات . ومن تلك المستويات هو علوم القرآن لما لها من أهمية على الصعيد العقدي والصعيد العملي الفقهي . فقد كان دورهم هو التأسيس والتبيين ، والتعليم لها.

٣- لم يكن علم مصطلح علوم القرآن قد دون بعلم مستقل على زمن المعصومين لكن نجده حاضرا في كلماتهم ، وفي صدور اصحابهم ، وان عدم التدوين لا يعد عدم سبق لهم .

٤- ان هناك آثار تترتب على العلم بعلوم القرآن لما لهذه العلوم من نتائج تؤثر في فهم القرآن الكريم ، لان علاقة الآيات فيما بينها حاكمة .

٥- تبين ان ما ادعاه بعض من كتب عن علوم القرآن مثل الزرقاني عار عن الصحة ، فائمة أهل البيت عليهم السلام واتباعهم كانوا السابقين في هذا الفن.

الهوامش :

([1])الهندي: المتقي: كنز العمال ، تح : ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني ، تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا ، ط١- ١٩٨٩ م، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان١: ٥٢٠.

([2])الأحسائي: ابن أبي جمهور:عوالي اللئالي ، تح: الحاج آقا مجتبى العراقي ، ط١- ١٩٨٥م، المطبعة : سيد الشهداء – قم ٤: ١١٢.

([3])الزرقاني : محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن، الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط٣- ص٣٩.

([4]): المدرسي: محمد رضا : التشيع من رئى التسنن ، نقله إلى العربية : عبد الرحيم الحمراني ، ط١- ١٤٢٦ - ١٣٨٤ش، المطبعة : نينوى، الناشر : صحيفة المعرفة ، قم- ايران : ٧٢.

([5]) صحيح مسلم ، ج ٧ ، ص ١٣٠.

([6]) الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة : صحيح الترمذي ، تح : عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢-١٤٠٣ - ١٩٨٣ م، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ٥: ٣٢٨.

([7]) صحيح الترمذي ، ج ١٣ ، ص ٢٠٠.

([8]) النيسابوري : مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري : صحيح مسلم، الناشر : دار الفكر – بيروت – لبنان ٧: ١٢٣

([9])السيوطي: جلال الدين: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان ٥: ١٩٩.

([10]) الحكيم: محمد تقي: الأصول العامة للفقه المقارن ، ط٢- ١٩٧٩م، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) للطباعة والنشر : ١٥٥.

([11])الصدر: محمد باقر : نشأة التشيع والشيعة، تح: عبد الجبار شرارة ، ط١- ١٩٩٧ م، المطبعة : قدس ، الناشر : مركز الغدير للدراسات الإسلامية:٨٣ .

([12])انظر الاميني : الغدير ٣ : ١١٨ .

([13])صحيح الترمذي ٥ : ٦٢١ ، باب مناقب أهل النبي ، ح ٣٧٨٦ . والمعجم الكبير ١ : ٦٦ ، ح ٢٦٨٠ .

([14])صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣ ، (باب فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام)) ، ح ٢٤٠٨ . ومستدرك الحاكم ٣ : ٦١٣ ، ح ٦٢٧٢ . مسند أحمد ٣ : ٣٨٨ ، ح ١٠٧٢٠ ، و ٣٩٤ ، ح ١٠٧٤٧ ، و ٥ : ٤٩٢ ، ح ١٨٧٨٠ ، و ٦ : ٢٣٢ ، ح ٢١٠٦٨ ، و ٢٤٤ ، ح ٢١١٤٥ .

([15]) الصواعق المحرقة : ١٢٦ .

([16]) البقرة : ١٢٩ .

([17]) المرقاة في شرح المشكاة ١٠ : ٥٣١ . كتاب المناقب ، ذيل الحديث ٦١٥٣ .

([18]) فرائد السمطين ١ : ٣١٧ – ٣١٨ ، ب ٥٨ .

([19]) الحاكم النيسابوري : أبو عبد الله: المستدرك على الصحيحين، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة بيروت – لبنان ٢: ٣٤٣.

([20]) مستدرك الحاكم ٢ : ٣٧٣ ، ح ٣٣١٢ ، و ٣ : ١٦٣ ، ح ٤٧٢٠ .

([21])المحمدي: فتح الله : سلامة القرآن من التحريف، سنة الطبع : ١٤٢٤هـ، الناشر : مؤسسة فرهنگي وهنري مشعر – تهران – ايران: ٤٥١.

(٢٢) الكليني : محمد بن يعقوب : الكافي (ط – الإسلامية)، ٨: ٣١٢.

(٢٣) تفسير العياشي، ٢: ٢٦٠.

(٢٤) ظ: المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة: ٥٢٠.

(٢٥) الجرجاني : علي بن محمد : التعريفات ط١– ٢٠٠٤م، طبع ونشر: دار التراث العرابي ، بيروت – لبنان : ٢٣.

(٢٦) الفراهيدي : الخليل بن احمد : العين : : تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي – الدكتور ابراهيم السامرائي ط٢– ١٤١٠هـ، الناشر : مؤسسة دار الهجرة ٨: ٧٣.

(٢٧) التهاوني كشاف اصطلاحات الفنون ١: ٣٣.

(٢٨)الجرجاني: علي بن محمد بن علي : التعريفات ، ط١– ١٤٠٥هـ ، تح : إبراهيم الأبياري ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت : ٤٤. التنوخي : محمد : معجم علوم العربية ، ط١–٢٠٠٣م، طبع ونشر: دار الجيل ، بيروت – لبنان : ٥٩.

(٢٩) الكتاني : محمد : موسوعة المصطلح في التراث العرابي ،ط١، طبعة : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ١: ٢١٧.

(٣٠) عتر : عز الدين : علوم القرآن ، ط١–١٩٩٣، مطبعة الصبح، دمشق : ٨.

(٣١) الزرقاني: محمد عبدالعظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن ط١– ١٩٩٦، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات،، الناشر : دار الفكر – بيروت١ :٢٠ .

(٣٢)الحكيم: محمد باقر : علوم القرآن ، ط٣– ١٤١٧هـ، المطبعة : مؤسسة الهادي – قم ، الناشر : مجمع الفكر الإسلامي : ٢٠.

(٣٣) معرفة : محمد هادي : التمهيد في علوم القرآن ،ط١–٢٠١١م، طبع ونشر : دار التعارف بيروت – لبنان ١: ٤١.

(٣٤) علوم القرآن عند المفسرين: مركز الثقافة والمعارف القرآنية ، ط٢– ١٣٨٦ق ،طبع ونشر : بوستاني كتاب ، قم – ايران ١: ٩.

(٣٥)الزرقاني : محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن، الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط٣– ص٣٩.

(٣٦) الكليني: الكافي (ط – الإسلامية)، ج٢، ص: ٥٩٩.

(٣٧)المجلسي : محمد باقر: بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط٢– ١٤٠٣ ق ، طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت٩٠: ٤.

(٣٨) مصباح الشريعة ؛ منسوب الى جعفر بن محمد عليه السلام، ط١– ١٤٠٠ق طبع مؤسسة الاعلمى – بيروت ؛ ص١٧.

(٣٩) المجلسي: محمد باقر: بحار الأنوار ٢٩: ٢٤٣.

(٤٠)الصدر :حسن : الشيعة وفنون الإسلام : ٢٥.

(٤١) القطان : مناع : علوم القرآن: ١٢.

(٤٢) العياشي: محمد بن مسعود: تفسير العياشي ؛ ط١– ١٣٨٠ ق ، المطبعة العلمية ، طهران– ايران : اول،.ج١ ؛ ص١٢ ،

(٤٣) معرفة : محمد هادي : التمهيد في علوم القرآن ١: ٤٢.

(٤٤)النراقي: احمد بن محمد: مستند الشيعة. ط١–١٤١٩هـ، المطبعة: ستارة، تحقيق الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم– ايران ١٧: ٢٥.

(٤٥) الكليني : الكافي ٥: ٦٩.

(٤٦) ظ: الصدر : محمد باقر : الحلقة الأولى :١٢.

([٤٧]) السيوطي: جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : سعيد المندوب، ط١-١٩٩٦م، المطبعة : - دار الفكر- لبنان ١: ٥٦.

([٤٨])الكافي (ط - الإسلامية) ؛ ج٢ ؛ ص٥٩٨

([٤٩]) الصفار: محمد بن حسن: بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلّى الله عليهم، ط٢- ١٤٠٤ ق. مكتبة آية الله المرعشي النجفي - قم - ايران ؛ ج١ : ٢٠٤.

([٥٠]) الصفار: بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم، ج١، ص: ١٣٥

([٥١])الكليني: الكافي (ط - الإسلامية) ؛ ج٢ ؛ ص٦٣٠.

([٥٢])الأصول الستة عشر:جمع من العلماء، ط١- ١٣٦٣ ش، طبع: دار الشبستري للمطبوعات، قم - ايران: ٦٦.

([٥٣]) تفسير العياشي ؛ ج١ ؛ ص١٢.

([٥٤])الكافي (ط - الإسلامية) ؛ ج٥ ؛ ص٦٦.

([٥٥])الكافي (ط - الإسلامية) ؛ ج٨ ؛ ص٢٦٩-٢٧٠.

([٥٦])البرقي، أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن ؛ ط٢-١٣٧١هـ، الناشر: دار الكتب الإسلامية، قم- ايران ٢ : ٣٠٠.

([٥٧])الهلالي : سليم بن قيس: كتاب سليم بن قيس ، ط١-١٤٠٥ هـ،، الناشر: الهادي، إيران- قم ج٢ ؛ ص٦٢٠- ٦٢٣.

([٥٨])بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ؛ ج١ ؛ ص١٩٦.

([٥٩])المحاسن ؛ ج٢ ؛ ص٢٩٩.

([٦٠]) بصائر الدرجات في فضائل آل محمد صلى الله عليهم ؛ ج١ ؛ ص١٩٨.

([٦١]) تفسير العياشي ؛ ج١ ؛ ص١٠.

المصادر والمراجع:

١- الأحسائي: ابن أبي جمهور:عوالي الألي ، تح: الحاج آقا مجتبى العراقي ، ط١- ١٩٨٥م، المطبعة : سيد الشهداء – قم ٤: ١١٢.

٢- احمد بن حنبل: مسند أحمد دار صادر – بيروت – لبنان .

٣- الأصول الستة عشر : جمع من العلماء، ط١- ١٣٦٣ ش، طبع: دار الشبستري للمطبوعات، قم – ايران .

٤- الاميني : عبد الحسين احمد: الغدير في الكتاب والسنة والأدب ط٤- ١٣٩٧ – ١٩٧٧ م، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان .

٥- البرقي، أحمد بن محمد بن خالد: المحاسن ؛ ط٢-١٣٧١هـ، الناشر: دار الكتب الإسلامية، قم- ايران .

٦- الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة : صحيح الترمذي ، تح : عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢-١٤٠٣ – ١٩٨٣ م، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان ٥: ٣٢٨.

٧- التنوخي : محمد : معجم علوم العربية ، ط١-٢٠٠٣م، طبع ونشر: دار الجيل ، بيروت – لبنان : ٥٩.

٨- التهاوني : كشاف اصطلاحات الفنون .

٩- الجرجاني : علي بن محمد : التعريفات ط١- ٢٠٠٤م، طبع ونشر: دار التراث العرابي ، بيروت – لبنان.

١٠- الحاكم النيسابوري : أبو عبد الله: المستدرك على الصحيحين، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة بيروت – لبنان.

١١- الحكيم: محمد باقر : علوم القرآن ، ط٣- ١٤١٧هـ، المطبعة : مؤسسة الهادي – قم ، الناشر : مجمع الفكر الإسلامي.

١٢- الحكيم: محمد تقي: الأصول العامة للفقه المقارن ، ط٢- ١٩٧٩م، الناشر : مؤسسة آل البيت (ع) للطباعة والنشر .

١٣- الزرقاني: محمد عبدالعظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن ط١- ١٩٩٦، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات،، الناشر : دار الفكر – بيروت.

١٤- السيوطي: جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : سعيد المندوب، ط١-١٩٩٦م، المطبعة : – دار الفكر– لبنان.

١٥- السيوطي: جلال الدين: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان .

١٦- الصدر : محمد باقر : دروس في علم الاصول : الحلقة الأولى.

١٧- الصدر :حسن : الشيعة وفنون الإسلام .
١٨- الصدر: محمد باقر : نشأة التشيع والشيعة، تح: عبد الجبار شرارة ، ط١- ١٩٩٧ م، المطبعة : قدس ، الناشر : مركز الغدير للدراسات الإسلامية.
١٩- الصفار: محمد بن حسن: بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد صلّى الله عليهم، ط٢- ١٤٠٤ ق. مكتبة آية الله المرعشي النجفي – قم – ايران .
٢٠- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد : المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد، الناشر : دار إحياء التراث العربي.
٢١- عتر : عز الدين : علوم القرآن ، ط١-١٩٩٣، مطبعة الصبح، دمشق.
٢٢- علوم القرآن عند المفسرين: مركز الثقافة والمعارف القرآنية ، ط٢- ١٣٨٦ق ،طبع ونشر : بوستاني كتاب ، قم – ايران .
٢٣- العياشي: محمد بن مسعود: تفسير العياشي ؛ ط١- ١٣٨٠ ق ، المطبعة العلمية ، طهران- ايران .
٢٤- الفراهيدي : الخليل بن احمد : العين : : تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي – الدكتور ابراهيم السامرائي ط٢- ١٤١٠هـ، الناشر : مؤسسة دار الهجرة ٨: ٧٣.
٢٥- القطان : مناع : علوم القرآن.
٢٦- الكتاني : محمد : موسوعة المصطلح في التراث العرابي ،ط١، طبعة : دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .
٢٧- الكليني : محمد بن يعقوب : الكافي، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، ط٥- ١٣٦٣ ش، المطبعة : حيدري، الناشر : دار الكتب الإسلامية – طهران.
٢٨- المجلسي : محمد باقر: بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط٢- ١٤٠٣ ق ، طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت٩٠: ٤.
٢٩- المحمدي: فتح الله : سلامة القرآن من التحريف، سنة الطبع : ١٤٢٤هـ، الناشر : مؤسسة فرهنگي وهنري مشعر – تهران – ايران.
٣٠- المدرسي: محمد رضا : التشيع من رئى التسنن ، نقله إلى العربية : عبد الرحيم الحمراني ، ط١- ١٤٢٦ – ١٣٨٤ش، المطبعة : نينوى، الناشر : صحيفة المعرفة ، قم- ايران : ٧٢.
٣١- مصباح الشريعة ؛ منسوب الى جعفر بن محمد عليه السلام، ط١- ١٤٠٠ق طبع مؤسسة الاعلمى – بيروت ؛ ص١٧.
٣٢- معرفة : محمد هادي : التمهيد في علوم القرآن ،ط١-٢٠١١م، طبع ونشر : دار التعارف بيروت – لبنان.

٣٣- النراقي: احمد بن محمد: مستند الشيعة. ط١-١٤١٩هـ، المطبعة: ستارة، تحقيق الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم- ايران .
٣٤- النيسابوري : مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري : صحيح مسلم، الناشر : دار الفكر - بيروت - لبنان .
٣٥- الهلالي : سليم بن قيس: كتاب سليم بن قيس ، ط١-١٤٠٥ هـ،، الناشر: الهادي، إيران- قم .
٣٦- المتقي الهندي: : كنز العمال ، تح : ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني ، تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا ، ط١- ١٩٨٩ م، الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.